

خطبة جمعة مفرغة
بعنوان
المصباح على بهجة آثار الصلاح
لفضيلة الشيخ
يحيى بن علي الحجوري
حفظه الله

الجمعة ٢٧ من ذي القعدة ١٤٤٤ هجرية
مسجد إبراهيم شحوح سيئون
فرغها : أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس: أمر الله عز وجل بالتذكير بأيام الله، فقال لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام، قال: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)} [إبراهيم: 5].

فالتذكير بأيام الله آيات لمن اعتبرها وتذكر بها، وأيام الله آلاؤه ونعمه، وأيام الله التذكير بما فيها من خير وشر ما حصل للماضين فيها للمؤمنين وللكافرين، والتذكير بأيام الله وما فيها ويشمل ذلك فضلها فضل ما كان ما دل عليه الدليل منها، فإن الله عز وجل لم يجعل الأيام على حد سواء من حيث الفضل، ولا العباد لا الأزمنة ولا الأمكنة ولا المخلوقات، ففاضل بينها كما قال سبحانه وتعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [البقرة: 253]

وقال جل وعلا: {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)} [الإسراء: 21]

وقال جل وعلا: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ رِيبُورًا (55)} [الإسراء: 55].

ولا يزال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن أفضل الأعمال، أي الأعمال أفضل، أي كذا أفضل، ويخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا الأزمنة فإنها تتفاضل كما يتفاضل المخلوقات، وهكذا الأزمنة تتفاضل، فقد ثبت في صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ". وفي صحيح مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْتُو، ثُمَّ يَبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟".

ألا وإن من أجل الأيام الفاضلة لهذه الأيام، سواء كان أشهر الحرم أو ما يليها من أيام عشر ذي الحجة، فهي من أشهر الحرم، وقد اجتمعت فيها فضائل عديدة، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرج البخاري وأحمد واللفظ له: "مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ". قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ.

وهذا دليل على أفضلية هذه الأيام، ولهذا فضل العمل فيها، وكان العمل فيها أحب إلى الله فيها من غيرها، ورغب فيها وأقسم الله عز وجل بها في قول الله عز وجل: {وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ} جمهور العلماء أن الليالي العشر هي ليالي عشر ذي الحجة، وصح عن ابن عباس تفسيرها

بالأيام المعلومات في قول الله سبحانه وتعالى: {وَأَتَن فِي النَّاسِ
بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ
مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} [الحج: 27، 28]

فهذه الأيام يقال لها الأيام المعلومات أيام العشر، وهي العشر كما
أقسم الله بها والفجر وليال عشر، وذلك أنها أيام عظيمة تشتمل على
أمر الله عز وجل بكثرة الذكر فيها، فإن الإنسان معمور بذكر الله
وبالعمل الصالح على الدوام، ولكن فيها مزية ترغيب في العمل الصالح
فيها، وفي هذه الأيام يأتي يوم عرفة، وتليها أيضا الأيام المعدودات،
وكلها قد أثنى الله سبحانه وتعالى عليها ورغب في الذكر فيها، وذكروا
الله في أيام معدودات، ابن عباس وجمهور العلماء على أنها تلي الأيام
المعلومات، ثبت عنه أنه قال الأيام معلومات قبل يوم التروية، ويوم
التروية ويوم عرفة، ويليهما أيضا تمامها وهي الأيام المعدودات، يوم
النحر ويوم القر، وهكذا يوم النفر الأول، ثم يوم النفر الثاني، فأيام
التشريق ثلاثة ويوم النحر أربعة، باعتبار التي تلي الأيام المعلومات
الأيام المعدودات، كلها مأمور العبد فيها بكثرة ذكر الله، كما ثبت من
حديث نبيشة الهذلي رضي الله عنه، أيام التشريق أيام أكل وشرب
وذكر لله.

أيها الناس : إن العمل الصالح كل ما كان الإنسان حريصا عليه كان
ذلك من أعظم منافعه، فما رفع الله عز وجل العبد إلا بعمله الصالح،
ولهذا قال الله عز وجل: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ
أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (69)} [النساء: 69]

فالذي يلزم العمل الصالح يسير مع أهله ومع رفقته الصالحة في
الدنيا وفي الآخرة، فيلزم العبد في حياته الدنيا العمل الصالح ويدعو

الله، يلزم العمل الصالح في قلبه وإصلاح قلبه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، فصالح العبد كل العبد كل جوارح العبد منوطة بصالح هذه المضغة، فإذا صلحت هذه المضغة صلح كل حال الإنسان، ولا يكون صلاح العبد إلا بتحريه للأعمال الصالحة التي هي من أسباب الحياة الطيبة كما قال جل وعلا: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)} [النحل: 97].

صلاح قلبه وأوقاته ودينه وحياته كل ذلك بحرصه على الأعمال الصالحة، في سائر أوقاته وحياته، فيها هدايته بالأعمال الصالحة هدايته، قال الله سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17)} [محمد: 17]

قال: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم: 76].

وسمى الله عز وجل تلك الأذكار التي تبقى للإنسان الصالحات: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)} [الكهف: 46].

فلا ميزة في هذه الحياة الدنيا إلا للصلاح وأهله،: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96)} [مريم: 96].

قال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} [يونس: 9].

وليعلم العبد أن عز وجل ما نجي عبدا في الدنيا ولا في الآخرة من الشر والفتن إلا بالعمل الصالح، وما هلك عبد إلا بضده،: {قُلُوا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْقَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۖ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِقُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116)} [هود: 116، 117]

ف الله من عدله سبحانه وتعالى وفضله أنه لا يهلك القرى ما دام

الصلاح فيها، وأما حديث زينب بنت جحش أنهك وفيها الصالحون؟ قال : نعم إذا كثر الخبث. فهذا معناه أنه قد يوجد الصلاح إلا أنه لا أثر له لكثرة الباطل، لكثرة الشر وسيطرة الشر وتمكين الشر، وقد يوجد القليل الذي لا أثر له، ولا يكون له قبول عند الناس، لا لقوله لا لفعله لا لإنكاره، فلهذا يحصل الهلكة بسبب سيطرة الباطل، أما ما دام الخير هو المتمكن والصلاح هو السائد بين الأمة فإن الله لا يهلك أهل الصلاح ولا مجالسهم، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، الحديث.

قال : {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33){[الأنفال:33]}

ف الله لا يعذب الصالحين حتى وإن حصلت منهم مخالفات أو شيء من الزلل فاستغفروا وهم من أهل الصلاح فإنهم ما زالوا في عافية من الله ولا يعذبهم: {قُلُوا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (98){[يونس:98]}

هؤلاء قوم خرج نبيهم من أوساطهم مغاضبا لهم، غضبانا عليهم لمعاصيهم، فلما خرج منهم أسفوا وندموا وآمنوا، فكان إيمانهم وعملهم الصالح من أسباب نجاتهم وعدم هلاكهم، وكم من الأمم خالفت أنبيائها فهلكت، قال الله سبحانه : {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَاهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40){[العنكبوت:40]}.

ولهذا كان الميزان عند أهل العلم هو الصلاح وأهله، الميزان عند أهل العلم دائما وأبدا هو الصلاح، الكرامة هي الصلاح، قال الله سبحانه وتعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات:13].

ولما أنكر الصالحون أهل العلم على قارون قال الله: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ} قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (81)} [القصص: 79، 81]

هذه هي الميزة هذا هو الفضل في الدنيا والآخرة وعلى قدره درجات العبد وإعداد الله جل وعلا لعباده في الجنة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: "أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ."

هذا الذي أعده الله للصالحين، أكرم الله الصالحين، ولا يستوي يا عباد الله أهل الصلاح وأهل الفساد: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 9].

قال: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} [القلم: 35]. لا يستوون، {وَالْعَصْرُ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)} صنف خاسر بنص القرآن {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصُوا بِالصَّبْرِ (3)}

هل يستوي الخاسر لدينه الخاسر لدنياه الخاسر لأهله وماله وسائر ما خوله الله فيه لا يستفيد منه شيئاً يوم القيامة: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقَرِّبِكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [سبا: 37]. فلا يستفيد من حياته وماله وولده وأهله وسائر ما مكنه الله فيه إلا من رزقه الله الصلاح، أصلح الله له دينه، أصلح الله له جوارحه، أصلح الله له من مكنه الله من دعوته وتعليمه، فميز يا عبد الله بين الصلاح وأهله، هذه أيام أيام عمل صالح والعمر كله فرصة عمل صالح روى

مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو يلح على ربه يلح، هو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك يقول: "اللهم أصلح لي

ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دُنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر.

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروة الصالحين: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69)} [النساء: 69]

ذروة الصالحين يسأل الله أن يصلح له دينه، وأن يصلح له دنياه، وهكذا في دعاء الصالحين وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين، أثنى الله عز وجل على الصلاح والدعاء به، وأدخلني في عبادك الصالحين، يطلب نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام بعد أن رأى تلك النعمة: {قَالَتْ تَمَلُّهُ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} يطلب سليمان من ربه يجعله يعمل صالحا يرضاه {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ}

يتوسل إلى الله برحمته أن يدخله ضمن الصالحين مع الصالحين، نبي، وأدخلني نبي الله يوسف توفني مسلما وألحقني بالصالحين، هكذا أنبياء الله يدعون الله عز وجل أن يجعلهم في الصالحين، وكذلك أيضا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100)}

فَبَشِّرْهُ بِعَلْقَامٍ حَلِيمٍ (101)} [الصافات: 100، 101]

ويدعو ربه أن يرزقه من الصالحين فإن الولد لا ينفع إن لم يكن صالحا، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. كل هذه الثلاث لا تنفع إلا بالصلاح، الصدقة الجارية إن لم تكن من مال صالح حلال لا تنفع، {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِأَتْيٍ تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [سبا: 37]

إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، والولد إن لم يكن صالحا لا ينفع، الولد ينفع إذا كان صالحا حيا أو ميتا، في حياته هو ما يزال نافعا، وقد ثبت من حديث أبي سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بخ بخ وأشار بيده لخمس ما أثقلهن في الميزان سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يُتَوَقَّى للمراء المسلم فيحتسبه.

صالح ففيه منافع، ولا تنفع الزوجة إلا إذا كانت صالحة، يكون مغبوطا بها إلا بصلاحها، روى البخاري (4802) ومسلم (1466) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَنْكُحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَأَظْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير ما يعطاه العبد زوجة صالحة، أي تعينه، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الإمام مسلم نحو ذلك أيضا أنه من خير ما يكتنزه أو يحصل له الزوجة الصالحة، الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، فلا تكون متاعا على الوجه الحقيقي نافعة معينة على الخير إلا إذا وجد وتحقق فيها الصلاح، أما ما عدا ذلك فقد تكون شقاء عليه: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: 14].

فلا يكون هناك عداة إلا بمخالفة الشرع، أما الصلاح كله نفع، ولا ينفع المال إلا بالصلاح فيه وبصاحبه، نعم المال الصالح للعبد الصالح

للمرء الصالح، صالح حلال يسيره في أماكنه ومواطنه الشرعية، المال الصالح للعبد الصالح هذا هو الذي ينفع.

وهكذا يا عبد الله إن أعمال الصلاح هي الميزان في هذه الدنيا، ولا حياة قيمة ولا حياة شريفة إلا بالصلاح، أما والله إذا افتأت الناس عن الصلاح فإنها لا حياة لهم قيمة بل هي حياة بهيمية، كما قال الله سبحانه وتعالى:}

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44){[الفرقان:44].

قال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179){[الأعراف:179].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه، أما بعد : قال الله عز وجل لنبيه نوح، قال نوح عليه الصلاة والسلام حين تخلف ابنه ولم يرضى حتى يركب معه على السفينة، ولد عاق، {يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ (42)} لا تجالس الكفرة، فهي ولده عن مجالسة الكافرين والبقاء معهم لتأثيرهم عليه، وكونه منهم صار منهم، وأمره بالركوب معه للنجاة فلم يقبل منه حتى هذا النصح أن يركب، {قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} فلما عاق أباه فصل بينهما الموح وحال بينهما الموح فكان من المغرقين: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44)} وتادى نوح ربه فقال رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45)} رحمة الأب {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} ما السبب؟ {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} العقوق الكفر بالله، فأهلكه الله عز وجل لأنه ما هو على عمل صالح، {فَلَمَّا تَسَأَلْنَا مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} إني أعظك أن تكون من الجاهلين (46) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (47)} وهكذا امرأته وامرأة لوط أيضا: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ} نبي الله نوح صالح ونبي الله لوط صالح فخانتاهما، والخيانة هنا المملاة لقومهما على النبيين ونصرة الباطل، خيانة نفاق ما هي خيانة فراش بالإجماع: {فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ (10)} [التحریم:10].

فانظر إلى خيانة الصالحين كيف تؤدي إلى الهلكة، فيا عبد الله

احذر المخادعة والخيانة والعداء للصالحين فإن الله قد أبان هلك من كان هذا حاله، ومحاربة من كان هذا حاله {فَخَاتَتْهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ (10)}

الخيانة هنا نفاقية مملاة للمشركين من قومها وأسرتها على نبي الله نوح، وتحريش عليه ومكان من ذلك، ونقل أيضا سرائره أو ما كان عنده، الشاهد من ذلك أن الهلكة ما أهلك الله من أهلك إلا لمخالفته الصلاح، أما الصلاح فإنه يحفظ الله سبحانه وتعالى به أهله، فقد قال النبي عليه وسلم معلما لمن أتى إلى مرقده يقول: "بِاسْمِكَ رَبِّ، وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْقُظْهَا بِمَا تَحْقُظُ بِهِ عِبَادَكَ الصّٰلِحِينَ.

الله يحفظ الصالحين، حتى الذرية الصالح قد يحفظهم الله بصلاحه، كان سعيد بن المسيب يقول لابنه : إني لأزيد في صلاتي من أجلك، أي أن احفظ فيك بعد موتي، لأن الله عز وجل يقول: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} [الكهف: 82].

فنبى الله خضر عليه الصلاة والسلام حين جاء إلى تلك القرية وما استضافوهم ولا أكرمواهم وجد جدارا يكاد ينقض أقامه دفه حتى قام، فعتب عليه موسى قال يعني لماذا نقيمه ما أعطونا الأجر، {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ} قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) فلما قص عليه أخبره بما أطلعه الله عليه وأنه ما فعل ذلك من عنده بل بأمر الله، وأن هذا الجدار الذي أقامه تحته كنز لأولاد صغار أبوهم صالح، لو انهد الجدار لو وجد الكنز حق الأولاد وأخذ أخذه الناس، ولكن الله عز وجل أبقي لهم ذلك الجدار يحفظ كنزهم حتى يكبروا فينظروا ما عندهم من الوثائق فيأخذوا ذلك ما عندهم من وصية أو ما

عندهم ما يدلهم عليه فيأخذوه، وكان هذا لحفظ رزقهم وحفظ مالهم بسبب صلاح أبيهم، فانظروا عبد الله آثار الصلاح في هذه الدنيا. إن أثر الصلاح مفرحة في الدنيا والآخرة مفرحة، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94)} [الأنبياء:94].

لا كفران لسعيه حتى أن الإنسان ليتمنى الرجوع بعد موته من أجلها: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ} [المؤمنون:99،100]

قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10)} [المنافقون:9،10].

فهو يتمنى أن يعود إلى الدنيا من أجلها، ما يريد من الدنيا شيء وإنما يريد أن يعمل صالحا، استغل عمرك يا عبد الله في هذه الأيام أو في غيرها في الأعمال الصالحة، من قول أو فعل أو عمل، فإن الأعمال الصالحة معروفة في كتاب الله، والعقيدة الصالحة ما كان على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته، وطريقة السلف رضوان الله عليهم، وتوحيد الله واتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، هذا هو العمل الصالح، أن يكون خالصا لوجه الله، مطابقا لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يبتغى به وجه الله في الأقوال في الأفعال في العبادة في الأوقات في الحياة مع الذرية مع الأولاد مع الزوجات مع الجيران، ما من أحد إلا ويعرف الصالح من دونه إذا فقهه الله سبحانه وتعالى، {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ} وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42) [الأنفال:42].

قال: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ

مِنَ الطَّيِّبِ ۖ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَن رَّسُلَهُ مَن يَشَاءُ ۚ [آل:179].

الأعمال الصالحة مفرحة، في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي..

وهي محمولة وهم يبكون عليها وهي فرحان، وهو فرح بأنهم بأنه ذاهب إلى عمله الصالح، وإذا وضع في قبره آتاه عمل الصالح، أنا عمك الصالح في صورة مشرقة جميلة صورة شاب ويأنسه في عمله الصالح، ولا يبقى معه إلا العمل الصالح فقط، العمل خيرا أو شرا، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَتَّبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجَعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجَعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ.

يرجع كل ما كان المال من عبيد أو ما ركب حمل عليه أو غير ذلك ويرجع أهله ولا يبقى معه إلا العمل الصالح: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)} [الزلزلة: 7، 8].

إننا على يقين أننا لسنا من أهل هذه الدنيا، أعني لسنا ماكتين فيها، وأننا منتقلون منها لا محالة، فليعد الإنسان لنفسه عملا صالحا يلقي به ربه، سواء في هذه الأيام أو في غيرها، ويطلب توفيق الله سبحانه وتعالى واعانته، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، والحمد لله رب العالمين